

التحولات الاستراتيجية الروسية في البحرين الأسود والمتوسط

الدكتور حسن ناصر عبد الحسين الشمري

جامعة الكوفة-كلية العلوم السياسية

المقدمة

إنّ روسيا الاتحادية تقع في منطقة تمثل قلب العالم (أوراسيا) وهذا الموقع وفر لها ميزة استراتيجية حملت في طياتها كل مبررات المكانة والدور في النظام الدولي التي كانت عليه زمن الحقبة السوفييتية. إلا ان تفكك الاتحاد السوفييتي واستقلال دوله وأد تحديات كبرى لروسيا الاتحادية تمثلت في: خسارتها لموانئ استراتيجية في أهم البحار العالمية مثل: البحرين الأسود والمتوسط. فضلاً عن انضمام تلك الدول الى حلف (الناطو) ومشاركة أربع دول أخرى لها في بحر قزوين التي كانت تسيطر عليه. لذلك قامت روسيا باتخاذ عدد من الإجراءات لمعالجة تلك التحديات التي خلفها التفكك السوفييتي عام 1991 تضمنت: استعادة الموانئ الواقعة شرق البحر الأسود وشماله ضمن إقليمي (أبخازيا) التي استقلت بدعم روسيا على أثر الحرب الجورجية – الروسية عام 2008 و(شبه جزيرة القرم) التي ضمتها روسيا عام 2014. كما قامت روسيا بإعداد وتجهيز قاعدتي طرطوس وحميميم في شرق البحر المتوسط. فضلاً عن استعمال روسيا سياسة الردع ضد حلف الأطلسي لمنعه من ضم الدول التي تشترك بحدود معها الى عضويته. وقد شهد البحرين الأسود والمتوسط تحولات استراتيجية جراء تلك الإجراءات التي قامت بها روسيا الاتحادية تميزت بآثارها السياسية والاستراتيجية التي أدت الى تحجيم الدور الأمريكي-الأوروبي في كلا البحرين الأسود والمتوسط وكسر الطوق المفروض عليها من قبل (حلف الناٹو)، لتلبي بذلك متطلبات استعادة مكانتها ودورها في النظام الدولي.

Russian strategic shifts in Black and Mediterranean seas

Introduction:

The Russian Federation is located in a region that represents the heart of the world (Eurasia).

However, the disintegration of the Soviet Union and the independence of its states gave rise to major challenges for the Russian Federation: the loss of strategic ports in the most important global seas such as: Black Bahrain and the Mediterranean. They also joined NATO and four other countries in the Caspian Sea that controlled it. Therefore, Russia has taken a number of measures to address the challenges left by the Soviet disintegration in 1991, including: the restoration of the ports east and north of the Black Sea within the regions (Abkhazia), which was independent with Russia's support after the Georgian-Russian war in 2008 and (Crimea) annexed Russia in 2014. Russia also prepared and equipped the bases of Tartous and Hmeimim in the eastern Mediterranean. In

addition, Russia uses a policy of deterrence against NATO to prevent it from joining countries with which it shares borders.

Black and Mediterranean Bahrain has witnessed strategic shifts as a result of these actions by the Russian Federation, characterized by its political and strategic effects that have curtailed the US-European role in both Black and Mediterranean Bahrain and broke the siege imposed by NATO, thus meeting the requirements of regaining its position and role in International system.

المبحث الأول

الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية

تضمنت الإجراءات الروسية في البحار العالمية نشاطات الخارجية الروسية في المجال السياسي والدبلوماسي، فضلاً عن استعمال القوة العسكرية لمعالجة المشكلة الجيوبوليتيكية الجديدة التي تولدت على أثر استقلال دول الاتحاد السوفيتي عام 1991، المتمثلة في خسارة روسيا الاتحادية لعدد من الموانئ المهمة في أهم البحار العالمية، مما جعلها دولة شبه حبيسة ومحاصرة من قبل الحلف الأطلسي⁽¹⁾.

لقد تفاقمت المشكلة الجيوبوليتيكية الروسية بشكل كبير في البحر الأسود. إذ فقدت روسيا الاتحادية ملكيتها لقاعدة (سيباستوبول) البحرية في شبه جزيرة القرم ذات القدرات والإمكانات العسكرية الهائلة والتي آلت إلى أوكرانيا. وبعد تقاسم الأسطول السوفياتي في المنطقة توصل الطرفان إلى اتفاقية بتأجير القاعدة البحرية للاتحاد الروسي لفترة تمتد أمدها حتى عام 2017،

ومع حرمان روسيا من الممرات والنوافذ الساحلية في أوكرانيا وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا، فإن المشكلة الجيوبوليتيكية الروسية أصبحت أكثر تعقيداً، لذلك قامت روسيا بوضع استراتيجية خاصة للتعامل مع هذه المشكلة. لاسيما في منطقة البحر الأسود والبحر المتوسط، من هنا نستطيع أن ندرك مدى الأهمية التي توليها روسيا الاتحادية اليوم لأسطول البحر الاسود وقاعدة طرطوس السوري، المنفذ البحري الوحيد المتبقي لروسيا في شرق البحر المتوسط.

وعملاً بمبدأ ضرورة امتلاك القوة البحرية والتوسع فيما وراء البحار وتلبيةً لمتطلبات الظهور على المسرح الدولي كقوة عالمية، قامت روسيا الاتحادية باتخاذ عدد من الخطوات في كلا البحرين الأسود والمتوسط. فالبحر المتوسط يمثل مجالاً حيويًا عالمياً عبر التاريخ ويوفر النطاق الجغرافي الخصب لروسيا الاتحادية ليس في التحرك والتفاعل فحسب بل في ترسيخ دورها العالمي وفرض مصالحها قبال مصالح القوى الدولية الكبرى. يبلغ طول البحر المتوسط حوالي 3700 كم، أما عرض البحر فيبلغ حوالي 1930 كم، كما أن وقوعه على مفترق ثلاث قارات آسيا، أوروبا وإفريقيا وتداخله مع البحار الأخرى زاد من أهميته الجيو استراتيجية والجيو اقتصادية، لاحتوائه على كميات كبيرة من الغاز الطبيعي الذي يعد مصدراً من المصادر المهمة للطاقة ويحوز أيضاً على ثروة سمكية كبيرة⁽²⁾.

كما إن للبحر الأسود أهمية جيواستراتيجية وجيو اقتصادية أيضاً، إذ يربط طرقاً عالمية مهمة مثل: شرق وجنوب أوروبا (روسيا وأوكرانيا ورومانيا وبلغاريا) ومنطقة القوقاز (جورجيا) وتركيا، والمنفتح على البحر المتوسط من خلال مضيق الدردنيل. كما يعدّه البعض منطقة القلب (اليورو-آسيوي). كما يمثل أهم طرق التجارة الدولية، إذ تبدو التجارة البترولية إحدى أكبر معالمها. فقد تجسدت أهمية منطقة البحر الأسود في تمرير أنابيب نفطية إلى شرق أوروبا وأخرى مماثلة إلى البحر المتوسط ومنه إلى جنوب أوروبا ووسطها، مع احتمال رفدها على المدى الأبعد بنفط الشرق الأوسط. أن معظم هذه المشاريع تتصدى لها

1- جينيفر ميدكالف، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2009، ص 18.

2- كريم مصلوح، التعاون والتنافس في المتوسط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013، ص 74.

بالأساس الشركات الروسية. كما ينفرد البحر الأسود بمهمة نقل الطاقة من بحر قزوين المغلق الذي يحتاج لتسويق نفطه إلى مخارج بحرية (3).

وفي صدد أهمية السيطرة على البحار العالمية، وضع (ماهان) نظرية تضمنت: أن سيادة الدولة على البحار ترجع بصورة رئيسة إلى فعالية تنظيماتها الاستراتيجية (السوقية والتكتيكية) في البحار العالمية، واستخلص ماهان قاعدة أساسية هي: (مبدأ ضرورة امتلاك الأسطول البحري من أجل السيطرة العالمية)، وأن جوهر الاستراتيجية البحرية يجب أن توجه ضد قوى العدو في الميدان، وأشارت النظرية الى: أنه من الطبيعي تكون الغاية الأساسية لهذه الاستراتيجية هو ربح معركة التسلط على البحار عن طريق ضرب أسطول العدو الضربة القاضية. وقد لاقى هذا المبدأ قبولاً واسعاً في كثير من دول العالم ذات التطلعات العالمية، فقامت هذه الدول ببناء أساطيل قوية. أي أن السيطرة على البحار أصبحت مصدراً للعظمة ووسيلة للتوسع والسيطرة العالمية (4).

ومن الملاحظ إن جميع الإجراءات الروسية في كل من البحر الأسود والبحر المتوسط جاءت منسجمة مع نظرية (ماهان) الخاصة بضرورة سيادة الدولة على البحار العالمية، لذلك تركزت الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية ومن هذه الإجراءات:

1- الإجراءات الروسية في البحر الأسود:

حتمت الأهمية الجيو استراتيجية المتميزة للبحر الأسود على روسيا الاتحادية مواجهة التحركات العسكرية الجورجية ضد إقليم أوسيتيا الجنوبية وابخازيا الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأسود. فقد بدأت الحرب الجورجية-الروسية في 8 أغسطس عام 2008، لأسباب مختلفة منها: قيام القوات الجورجية بمهاجمة إقليم أوسيتيا الجنوبية صاحبة الحكم الذاتي بعد ذلك اتهمت روسيا الاتحادية القوات الجورجية بقتل قوات حفظ السلام الروسية، وان هذا العمل العسكري قد وفر لروسيا الاتحادية كل المسوغات بالرد الفوري على العدوان الذي شنته جورجيا ضد أوسيتيا الجنوبية والنظر في طلبي ابخازيا وأوسيتيا الجنوبية بشأن استقلالهما، ولاسيما بعد ان بدأت روسيا باتخاذ إجراءات تصعيدية بعد القمة التي عقدها حلف الناتو في نيسان 2008، في العاصمة الرومانية (بوخارست)، وقد وعد جورجيا خلال القمة بالانضمام الى عضويته في المستقبل القريب، وهو ما يعني استراتيجياً اقتراباً كبيراً لقوته من المجال الحيوي للأمن القومي الروسي. وقد ردت (موسكو) على ذلك بمزيد من التطبيع للعلاقات مع أوسيتيا الجنوبية، فأكثرت من منح جوازات السفر الروسية لسكان الإقليم، وقدمت مزيداً من الدعم العسكري والسياسي للمطالبين بالانفصال عن جورجيا (5). انتهت تلك الحرب في 26/ أغسطس من نفس العام، بإعلان استقلال إقليم أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا وقد اعترفت روسيا الاتحادية باستقلالهما في الحال. وفي إطار سياسة كسب الحلفاء وتوسيع التحالفات السياسية، قامت روسيا بعقد اتفاقيات عديدة مع إقليم أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا منها: اتفاقية وقعت من قبل الرئيس الروسي والابخازي (فلاديمير بوتين وراؤول خاجيمبا) في 24/تشرين

3- ديارى صالح مجيد، التنافس الدولي على مسارات أنابيب نقل النفط من بحر قزوين: دراسة في الجغرافية السياسية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2010 ، ص74.

4- عبد الرؤوف رهبان، المدرسة الأمريكية - نظرية سيادة القوة البحرية الأعظم (نظرية ماهان)، الموسوعة الجغرافية، على الموقع: <http://www.4geography.com/vb/showthr...?p=177#post177>

5- عمرو عبد العاطي، أوكرانيا وجورجيا: أزمات في منطقة الجوار، مجلة السياسة الدولية، العدد (178) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2009 ، ص96.

الثاني/2014 وصفت بأنها اتفاقية شراكة إستراتيجية بين البلدين، تضمنت تنفيذ أعمال مشتركة في مجال حماية الحدود الابخازية- الجورجية، لاسيما في المجال البحري التابع لابخازيا ومساعدتها في تعزيز العلاقات وتوسيع دائرة الدول التي اعترفت بها بشكل رسمي وتوفير الظروف اللازمة لانضمامها إلى المنظمات الدولية والإقليمية، الأمر الذي أثار غضب القيادة الجورجية التي اتهمت (موسكو) بمحاولة ضم إقليم أبخازيا إلى روسيا، وقوبلت الاتفاقية أيضا بانتقادات من قبل قيادة حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية، حيث وصفوا هذا التحرك بأنه خطوة من جانب روسيا لتضم إقليم ابخازيا (6).

كما وقعت روسيا عام 2015، معاهدة تحالف مع إقليم أوسيتيا الجنوبية، وبحسب الكرملين: فقد وقع الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) والزعيم الأوسيتي (ليونيد تيبيلوف) اتفاقية تحالف وتكامل بين روسيا وجمهورية أوسيتيا الجنوبية التي إنتشر فيها أساساً آلاف الجنود من القوات الروسية منذ عام 2008 (7). ونصت الاتفاقية الجديدة: بان الاتحاد الروسي يتكفل ضمان امن أوسيتيا الجنوبية بما في ذلك حدودها، كما تقضي بدمج وحدات القوات المسلحة وأجهزة الأمن الأوسيتية الجنوبية في القوات المسلحة الروسية، كما تؤكد الاتفاقية على الدفاع المشترك في حال تعرض احد الجانبين للاعتداء (هجوم مسلح) من قبل دولة أو مجموعة دول أو تشكيلات مسلحة، فان ذلك يعد اعتداءً على الجانبين (الروسي والاسيتي)، فضلاً عن تشكيل منطقة عسكرية وأمنية موحدة، وتوسيع التعاون بين أجهزة الشؤون الداخلية ودمج الهيئات الجمركية وتسهيل إجراءات الحصول على الجنسية الروسية ورفع الرواتب والمعاشات التقاعدية وتوفير التأمين الصحي لسكان إقليم أوسيتيا الجنوبية (8).

لقد استطاعت روسيا توظيف علاقاتها بإقليمي (أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية) عسكريا واقتصادياً، ففي الجانب الاقتصادي تمكنت روسيا من جعل العلاقة بأبخازيا أقرب ما يكون إلى انصواء الأخيرة في عداد الأولى، بسبب اعتماد اقتصاد أبخازيا على الاقتصاد الروسي بشكل كبير. أما في الجانب العسكرية فان روسيا قامت بعقد اتفاقيات لإقامة قواعد عسكرية روسية على أراضي الاقليمين، مما عزز من الوجود الروسي في منطقة القوقاز التي تشكل منطقة استراتيجية لروسيا الاتحادية ولها مصالح حيوية فيها، ثم قامت روسيا بعد ذلك بإجراء مناورات مشتركة مع الجانب الابخازي في ايلول عام 2012، وكانت أكبر مناورات لها في ذلك العام. بذلك وسعت روسيا تواجدها العسكري في الإقليم الشرقي من شواطئ البحر الأسود على ساحل بحري طويل يبلغ حوالي 220 كم، تتوزع عليه ثلاث موانئ بحرية هي: الميناء الرئيس في مدينة (سوخوم) وميناء منطقة (أوتشامتشيرا) الذي يعد من الموانئ المغلقة وميناء منطقة (بيتسوندا) الذي يعد من الموانئ المفتوحة (9).

6- وسيم خليل قلعبية، روسيا الاوراسية – زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015، ص80.

7- قيس العبيدي، الصراع الروسي الجورجي في أوسيتيا الجنوبية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 460 ، 2008، ص7.

8- واثق محمد براك، التوجهات الانفصالية المعاصرة في القوقاز: (أوسيتيا الجنوبية، ابخازيا، ناغورنو قره باخ)، مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، العدد 59 ، 2011، ص65.

9- نوار محمد ربيع الخيري، روسيا الاتحادية والسعي لإثبات المكانة والدور إقليمياً ودولياً، مجلة قضايا سياسية، المجلد الرابع، العددان (21-22) ، جامعة النهريين، كلية العلوم السياسية، بغداد، 2010، ص109.

إنَّ أبخازيا تحظى بأهمية استراتيجية كبيرة في المنظور الروسي كأهمية جزيرة القرم، لأنها تضم أكثر من نصف ساحل جمهورية جورجيا التي كانت عليه في ظل الحقبة السوفييتية (10).

أما قيام روسيا الاتحادية بضم شبه جزيرة القرم فكان الاجراء الأهم في سلسلة نشاطات الخارجية الروسية في شمال البحر الأسود والذي أحدث تحولاً كبيراً في إعادة التوازن الاستراتيجي بين روسيا والحلف الأطلسي في منطقة البحر الأسود. فشبه جزيرة القرم تبلغ مساحة تقدر بحوالي 26 ألف كيلو متر مربع ويقدر عدد سكانها بحوالي مليوني نسمة. ومن أهم مدن شبه جزيرة القرم هي العاصمة (سيمفروبول)، ومدينة (يالطا) الساحلية السياحية الجميلة التي عُقد فيها مؤتمر يالطا بين قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية في فبراير عام 1945 (ستالين وروزفلت وتشرشل)، أما ميناء سيفاستوبول الذي كان يؤوي أسطول الاتحاد السوفييتي الضخم، وقد ثارت خلافات حادة بين الدولتين الروسية والاوكرانية حول ملكية هذا الأسطول عقب إعلان أوكرانيا استقلالها في ديسمبر من عام 1991. وقد تم التوصل في عام 1992، إلى اتفاق بين البلدين ليكون الأسطول تحت قيادة مشتركة بين البلدين، وفي يونيو من العام 1995، قرر البلدان تقسيم الأسطول إلى قسمين تتسلم أوكرانيا (18.3%) من سفن الأسطول، أما الباقي من السفن فيباع بأسعار مخفضة إلى روسيا، ووقع البلدان في مايو من العام 1997، اتفاقية تنص على مدة بقاء السفن الروسية من أسطول البحر الأسود في ميناء أوكرانيا إلى عام 2017، على أن يدفع الجانب الروسي (98) مليون دولار أمريكي كل عام إلى الجانب الأوكراني كنوع من الاستئجار، إلا إنه في مايو من العام 2008 وقع الرئيس الأوكراني (فيكتور يوشينكو) الموالي للغرب أمراً يطالب به الحكومة بوضع قانون لإلغاء الاتفاقيات الدولية حول السماح ببقاء أسطول البحر الأسود في أوكرانيا، وفعلاً أصدرت وزارة الخارجية الأوكرانية في 24 مايو من عام 2008، بيان القوات الروسية أن تسحب أسطولها من الأراضي الأوكرانية (11).

وقد أكدت وزارة الخارجية الأوكرانية عام 2009، بقولها ان على روسيا اخلاء قاعدتها البحرية في سيفاستوبول بحلول عام 2017، لذلك تعاضمت مخاوف روسيا حول مصير اسطولها في ميناء سيفاستوبول. وكان أسلوب عقد الاتفاقيات مع الحكومات الأوكرانية الخيار الوحيد أمام روسيا طوال أكثر من عقدين من الزمن لإبقاء أسطولها بالبحر الأسود في ميناء سيفاستوبول. وكانت الاتفاقية الأخيرة من هذا النوع في أبريل عام 2010 بمدينة (خاركوف) الأوكرانية بين الرئيس الروسي آنذاك (دميتري مدفيديف والرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش) أثر فوزه في الانتخابات الرئاسية في أوكرانيا، والتي تقضي ببقاء الأسطول البحري الروسي في القرم لغاية عام 2042 مقابل دفع روسيا مبلغ 98 مليون دولار سنويا مع شرط تنزيل سعر الغاز المصدر إلى أوكرانيا بنسبة 30 بالمائة. إلا أنَّ الانقلاب الذي وقع في أوكرانيا عام 2013، ضد الرئيس (فيكتور يانوكوفيتش) الموالي لروسيا وصعود القوى اليمينية القومية المتطرفة إلى السلطة في العاصمة الأوكرانية (كييف) أثار مخاوف روسيا، خصوصاً بعد أن تزايدت احتمالات فسخ اتفاقية الأسطول الروسي في القرم، الامر الذي بات يشكل تهديداً كبيراً على الأمن القومي الروسي ومصالحها في منطقة البحر الاسود، مما جعل روسيا تدعم الطموحات القديمة لسلطة الحكم الذاتي الروسي المحدودة في القرم إلى إجراء استفتاء عام بهذا الشأن لنيل الاستقلال في شبه جزيرة القرم، حيث يشكل

10- واثق محمد براك، الأبعاد الاستراتيجية للحرب الروسية-الجورجية، أغسطس/2008، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 34، 2014، ص188.

11 -باسل راشد، تهديد جيواستراتيجي: حسابات القطب الروسي في الأزمة الأوكرانية، مجلة السياسة الدولية، العدد 196 : مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، القاهرة، 2014، ص122.

الروس نسبة 60 بالمئة من سكان شبه الجزيرة، مما ساعد روسيا في الاستفتاء الذي أجرته عام 2014، وكانت نتيجة الاستفتاء لصالح إلحاق الجزيرة بالاتحاد الروسي الامر الذي سمح لروسيا بأن ترفع الخطر المحقق بوجودها العسكري في منطقة ذات أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لبقاء اسطولها البحري في البحر الاسود، كما رفع هيبتها كدولة تدرك مصالحها وتقدر على حمايتها . وكانت القوات البحرية الروسية من اسطول البحر الأسود قد نفذت مناورات كبيرة بين عامي (2012-2013) في البحر الأسود اشتركت فيها مجموعة من السفن الحربية التابعة مع وحدات من مشاة البحرية مدعومة بأسراب من الطائرات نفذت سلسلة من الفعاليات التدريبية قبيل أزمة القرم أثبتت من خلالها قدرة الأسطول البحري الروسي على تنفيذ مهام متعددة في آن واحد. وقد أفادت وزارة الدفاع الروسية أن كل السفن والطائرات والمروحيات والآليات الحربية التي شاركت في المناورات عادت إلى قواعدها في قاعدتي سيفاستوبل ونوفوروسيسك ومقاطعة روستوف (جنوب روسيا) بعد اختتام الفعاليات المدرجة ضمن خطة التدريبات (12).

إن حالة التنافس بين روسيا وحلف الناتو تجري على قدم وساق في البحرين الأسود والمتوسط، فكلما عمل الناتو أكثر على طمأنة حلفائه من خلال التمرکز في مواقع أمامية تقترب من القوات الروسية اعتمدت روسيا اظهار امكانياتها وقدراتها العسكرية من خلال تقديم العروض واجراء المناورات العسكرية في البحرين الأسود والمتوسط لخلق ظروف مواتية لوضع قواتها البحرية في البحرين الأسود والمتوسط زويدت أساطيلها الحربية بسفن وأسلحة عصرية لخلق توازن استراتيجي مع قوات حلف الناتو والقوات الأمريكية.

والجدير بالذكر أن لجزيرة القرم أبعاداً استراتيجية يمكن اجمالها بوجود مينائي: (أوديسا وسيفاستوبول) مقر اسطول البحر الأسود الروسي الذي يضم الآلاف من عناصر القوة البحرية منذ الحقبة السوفيتية، كما تعد ركيزة لدعم خط التجارة الروسي إذ يوجد فيها مرفأ لتوقف السفن التجارية، فضلاً عن قربها من منابع النفط في القوقاز واسيا الوسطى واطلالتها على المضائق التركية البسفور والدردينيل يسهل عملية العبور للسفن التجارية والعسكرية إلى البحر المتوسط (13).

2- الاجراء الروسي في المتوسط:

الاجراء المتميز الآخر الذي اتخذت روسيا الاتحادية من خلال اعداد وتوسيع القاعدتان الروسيتان: قاعدة طرطوس البحرية وقاعدة حميميم الجوية جنوب شرق اللاذقية، وكلاهما على ساحل البحر الأبيض المتوسط على الشواطئ السورية. ويعود الاهتمام الروسي بالبحر المتوسط الى عام 1971، زمن الحقبة السوفيتية عندما وقعا الجانبين السوري والروسي اتفاقية تضمنت استئجار روسيا مرافق في مرفأ طرطوس السورية من أجل الوصول إلى المياه الدافئة، وهي القاعدة الوحيدة لروسيا في البحر المتوسط. وقد شهد العقد الأخير من القرن الماضي (عقد التسعينيات)، تدهور في العلاقات الروسية-السورية، بسبب رفض القيادة الروسية السابقة إجراء أية تسوية للديون السورية العالقة منذ زمن العهد السوفيتي والبالغة (8,9) مليار دولار، الامر الذي عرقل استخدام روسيا للقاعدة (14)، ولكن مطلع الالفية الثالثة بدأت العلاقات

12 - إبراهيم المنشاوي، مستقبل العلاقات الأوربية الروسية في ضوء أزمة القرم، على الموقع: www.acrseg.org

13 - حمزة جمول، أوكرانيا ورقعة الشطرنج الدولية، صحيفة الاخبار، 27 شباط 2014، متوفر على الرابط:

<https://www.al-akhbar.com>

14 - نورس محمد علي، مرفأ طرطوس عقدة دولية للنقل بين الشرق والغرب، بحث منشور على الرابط:

الروسية-السورية بالتحسين بعد تسلم الرئيس (فلاديمير بوتين) رئاسة الدولة عام ٢٠٠٠، ثم تعمقت بعد ذلك العلاقات الروسية-السورية ولاسيما بعد موافقة القيادة الروسية الجديدة عام ٢٠٠٥ بتخفيض الديون السورية العالقة بنسبة ٧٣ %، مما أعاد العمل بالاتفاقية السابقة والسماح للأسطول الروسي بالقيام المستمر نحو الشواطئ السورية شرق البحر المتوسط عبر ميناء طرطوس التي اعتمدها القوات الروسية نقطة ارتكاز لتوسيع التواجد العسكري الروسي في مياه البحر المتوسط،⁽¹⁵⁾ وقد قام القادة الروس بربط قوات اسطول البحر الاسود من سفن وغواصات وحاملات طائرات وآلاف الجنود لدعم قاعدة طرطوس في الساحل السوري. استعملت روسيا هذا التواجد البحري الكثيف في شرق البحر المتوسط لدعم قواتها المشاركة في الازمة السورية. أن قاعدتي طرطوس وحميميم يقعان في منطقة المسؤوليات لأسطول البحر الاسود وأنه ليس من المستبعد أن تتوجه سفن هذا الاسطول الحربية إلى البحر المتوسط لفرض وجود عسكري دائم هناك ولتنفيذ مهام تأمين قاعدتي طرطوس وحميميم. وقد أكد الجنرال (سيرغي شويغو) وزير الدفاع الروسي على ضرورة التواجد الدائم في البحر المتوسط، وأضاف أن خطة تسليح القوات البحرية الروسية في البحر المتوسط تتضمن تحديث الأسلحة بأسلحة وتقنيات حديثة. كما أفادت مصادر مقربة من وزارة الدفاع الروسية بان تم الربط بين القوات الحربية الروسية المتواجدة في البحر المتوسط ومجموعة سفن اسطول البحر الأسود اعتباراً من عام 2015 ضمن تشكيلة عملياتية دائمة، على غرار التشكيلة العملياتية التي كانت ترابط في البحر الابيض المتوسط في زمن الإتحاد السوفيياتي والتي مارست دور قوة الكبح والتصدي في أثناء الحرب الباردة، وذكرت وزارة الدفاع أن هذه التشكيلة العملياتية ستقوم بتدوير هذه القوات بشكل دوري للإبقاء على تواجد مستمر في المنطقة، لان أكثر التهديدات خطورة على الامن القومي الروسية تتركز في هذه المنطقة، بسبب تعزيز الأسطول الأمريكي في حوض البحر المتوسط⁽¹⁶⁾.

وقد قامت روسيا الاتحادية بتوسيع تواجدها العسكري في شرق البحر المتوسط على الشواطئ السورية عبر اعداد وتوسيع قاعدة طرطوس البحرية بعد عام 2009، على أثر اتفاقية ابرمت بين البلدين بإشراف وزيري الدفاع الروسي والسوري، ثم تم عقد اتفاقية أخرى بين البلدين لتوسيع قاعدة حميميم الجوية عام 2015. بعد ذلك قامت القوات البحرية الروسية بإجراء مناورات بحرية عرفت باسم "درع المحيط" وكانت في الأول من سبتمبر عام 2018، في منطقة البحر الأبيض المتوسط قبالة السواحل السورية، واعتبرت هذه المناورات الأكبر في تاريخ روسيا الحديث، إذ شاركت فيها مختلف القطاعات العسكرية مدعومة من سفن الاسطول الشمالي واسطولي بحر البلطيق والبحر الأسود، وكان مسؤولون في الحلف الأطلسي يراقبون المناورات الروسية عن كثب وأبدوا انزعاجهم من اجراء تلك المناورات⁽¹⁷⁾.

وامتداداً لتلك المناورات قامت القوات البحرية الروسية في بحر البلطيق بمناورات ضخمة استكمالاً لمناورات " درع المحيط" التي أجرتها القوات البحرية الروسية في البحر المتوسط في العام الماضي، هذا ما أعلنه الناطق باسم وزارة الدفاع الروسية، أن مناورات "درع المحيط 2019" انطلقت في بحر البلطيق

<http://www.esyria.sy/etartus/index>.

¹⁵ Daniel Treisman ,Why Russia supports Syria's Assad,Ucla Today, faculty and Staff News, 2011, <http://today.ucla.edu/portal/ut/PRN-russia-s-support-for-assad-regime-228392.aspx>

¹⁶ - محمد باسم، روسيا وأمريكا في صراع المتوسط، الانجلو المصرية، القاهرة، 2013، ص 65.

¹⁷ - قناة سكاى نيوز، روسيا تبدأ مناورات واسعة النطاق في المتوسط، 01 / 09 / 2018، على الرابط الالكتروني:

<https://www.skynewsarabia.com/world/>

صباح الأول من أغسطس - آب 2019، لتعزيز مهارات القوات البحرية الروسية والتأكد على جاهزيتها القتالية (18).

فضلاً عن الإجراءات التي اتخذتها روسيا الاتحادية في أهم البحار العالمية لضمان أمنها القومي، قامت أيضاً بإجراء آخر ضد حلف الناتو ودول أوروبا الشرقية لا يقل أهمية وتأثير عن الإجراءات السابقة. لقد استعملت روسيا سياسة الردع ضد حلف الناتو، لمنعه من ضم الدول التي لها حدود مشتركة معها الى عضويته. وقد كان إطلاق التهديدات من الجانب الروسي لتحقيق المصادقية اللازمة لتلك السياسة، الامر الذي أدى الى ردع الحلف والدول التي لها حدود مشتركة مع روسيا وثنيتهم عن مقاصدهم بإحكام الطوق والاقتراب من الحدود الروسية. فقد لوحث روسيا بجعل أوروبا عرضة لأسلحتها النووية إذا ما أقدم الحلف على ضم الدول التي لها حدود مشتركة معها أو قام بنشر الدرع الصاروخي الأمريكي على الأراضي البولندية (19). كما أعلنت روسيا عن قرب امتلاكها لأنظمة أسلحة نووية جديدة غير موجودة عالمياً، وذلك لتذكير الجميع بأن روسيا قوة لا يستهان بها ولا يجب إخراج العامل النووي من المعادلة أثناء التعامل معها. هذا ما أعلنه الرئيس الروسي (بوتين) تحت عنوان "مسائل ملحة بخصوص تطوير القوات المسلحة الروسية"، فقد أشار الرئيس (بوتين) إلى استعداد روسيا للتعامل مع الأسلحة النووية كأسلحة هجومية، ولم يستبعد إمكان قيام روسيا بضربات وقائية ضد أعدائها المحتملين. كما حذر حلف شمال الأطلسي من أن موسكو قد تعيد النظر في عقيدتها العسكرية، وخصوصاً في مجال الأسلحة النووية، إذا استمر الحلف في تبنيته للعقيدة الهجومية التي تعود لفترة الحرب الباردة. وقد فهم المراقبون هذا الإعلان على أنه تهديد للولايات المتحدة ودول حلف الناتو كونهم الأعداء المحتملون. وأضاف الرئيس (بوتين) إن روسيا تمتلك أعداد كبيرة من الصواريخ الاستراتيجية القادرة على اختراق أي شبكة دفاع صاروخي في إشارة إلى سعي واشنطن بناء شبكة دفاع صاروخي وهو خلاف معاهدة الدفاع الصاروخي الموقعة مع الاتحاد السوفياتي بتاريخ 26 أيار/ مايو 1972، والتي انسحبت منها الولايات المتحدة الأمريكية في 14/12/2001 من جانب واحد. واسترسل الرئيس (بوتين) قائلاً: "أن هذه الصواريخ ستوضع في الخدمة بدلاً من الصواريخ المنسوبة حالياً، وإن روسيا ستجري كل عمليات التحديث التي تلبى المصالح القومية الروسية وتتجاوب مع الوضع الدولي العام (20).

وكان قد اقر استخدام الأسلحة النووية في العقيدة العسكرية للفترة من (2000-2008) تحت عنوان المهام الأولية لتطور القوات المسلحة لروسيا الاتحادية، كما أدرجت العقيدة العسكرية الروسية كذلك مفهوم "الردع غير النووي" الذي يقضي ببقاء القوات العسكرية التقليدية في حالة استعداد عالية، بحيث تحتفظ موسكو لنفسها بالحق في استخدام ترسانتها النووية إذا ما تعرضت هي أو أحد حلفائها لعدوان. أما العقيدة العسكرية التي صدرت عام 2016، فقد تم التأكيد على خطر وتهديد توسع حلف الناتو، مما أدى الى ردت

18- روسيا تطلق مناورات تمتد من البحر المتوسط إلى بحر البلطيق على الرباط:

<https://arabic.sputniknews.com/russia/2019>

19 - أحمد كرمأوي، روسيا تلوح بالعودة إلى استراتيجية الردع النووي، مجلة المجتمع، العدد 1574، تاريخ 2003/10/25، على الرابط: <http://www.almujtamaamag.com/Detail>.

20 - Macel de Haas, Russia's Foreign Security Policy in the 21st Century: Putin and beyond, Routeledge Contemporary Studies, 2010, p.15.

فعل معادية من قبل روسيا اتجاه حلف الناتو والانتقال من سياسة الدفاع الى الهجوم بعد أن تيقنت روسيا من أن المسائل الخلافية مع الدول الغربية مثل الازمة الأوكرانية والسورية وصلت الى طريق مسدود (21).

المبحث الثاني

قراءة في آثار الإجراءات الروسية في أهم البحار العالمية

في ضوء المتغيرات والتحويلات التي أحدثتها الإجراءات الروسية في البحر الأسود والبحر المتوسط يأتي الحديث عن آثار تلك الإجراءات على مستقبل المكانة الدولية لروسيا الاتحادية ودورها العالمي في النظام الدولي. إن من أهم أهداف روسيا الاتحادية، استعادة المكانة الدولية المرموقة ودورها العالمي في النظام الدولي بعد أن تفردت الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم بعد نهاية الحرب الباردة وانهايار الاتحاد السوفياتي. مما صاحب ذلك تغير في بنية النظام الدولي من ثنائي القطبية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية الى نظام احادي القطبية سيطرت على مقاليد الولايات المتحدة الأمريكية بمفردها. إلا أن روسيا الاتحادية ما فتأت تسعى لاستعادة المكانة الدولية المرموقة لمنافسة وموازنة أدوار الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي. ان السياسة الخارجية الجديدة المعلنة لروسيا تقوم على رؤية جديدة لنظام عالمي جديد لا مكان فيه للقطبية الاحادية وانما عالم قائم على التعددية القطبية في النظام الدولي (22). لقد تعددت آثار الاستراتيجية الروسية في البحرين الأسود والمتوسط، ومن تلك الآثار أن تمكنت روسيا من منافسة الناتو في هذه البحار من الناحية الاستراتيجية بعدما وسعت من تواجدها العسكري فيها، ثم استعادت روسيا هيبتها وتساعد دورها العالمي، وكان كسر الطوق الذي فرضه التحالف الأمريكي-الأوروبي على روسيا الاتحادية من أهم الآثار التي حققتها روسيا من خلال منع بعض دول أوروبا الشرقية والقوقاز من الانضمام الى عضوية حلف الناتو، الامر الذي حجم من دور الناتو في منطقتي القوقاز وأوروبا الشرقية (23). وكان الحصار الذي فرض على روسيا من دول بعضها اطلسية والبعض الآخر حليفة او متعاونة مع حلف الأطلسي، لتشكل طوق شاسع قد مكن حلف شمال الاطلسي فرض عزلة دولية على روسيا الاتحادية، مما قلصت واضعفت دورها السياسي والدبلوماسي والعسكري والاقتصادي في الساحة الدولية، لذلك وجدت روسيا إن من الضروري الوقوف بحزم ضد توسيع حلف الناتو ومعالجة مسألة الحصار البري والبحري والجوي الذي شكل طوقاً شاسعاً يهدد الأمن القومي الروسي (24).

إن فرض الطوق الجديد على روسيا من قبل حلف الناتو قد بدأ فعلياً عام 1993، بانضمام معظم دول أوروبا الشرقية التي كانت ضمن حلف وارشو الى الحلف الأطلسي. إلا إن المتغيرات الفاعلة التي أجرتها روسيا الاتحادية قد بدأت عام 2008 من خلال ادارتها الناجحة للازمة الجورجية، ليبدأ عهد جديد

21- مريم موسي رياض يعقوب، تأثير الصعود الروسي على العلاقات الروسية-الأمريكية خلال فترة بوتين وأوباما، المركز الديمقراطي، العربي على الموقع: <http://democraticac.de/?p=35126>.

22- المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية، التوازن العسكري 2004-2005، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، أبو ظبي، 2005، صص 208-209.

23- محسن طاهر مديهيش، توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة: دراسة في المدركات والخيارات الاستراتيجية الروسية، دار جنان للنشر والتوزيع، 2013، ص 67.

24- ممثل روسيا لدى الناتو، روسيا تعارض بشدة توسع الأطلسي شرقاً، موقع أخبار أوروبا، على الموقع:

من العلاقة مع حلف الناتو تبلور فيها قدرة روسيا على مواجهة التحديات التي عانت منها في المرحلة السابقة خلال فترة حكم الرئيس الأسبق (بورس يلتسن) (25).

فقد تمكنت روسيا من خلال الحرب الجورجية اظهار سيطرتها على منطقة البحر الاسود واجبار الاطراف المعادية إيقاف تطاولها على المصالح الروسية طبقاً للتصور الروسي، ومن ثم التعامل بإيجابية مع دورها الجديد في المنطقة، لاسيما في القوقاز الجوار القريب والمجال الحيوي لروسيا الاتحادية. فقد استطاعت روسيا في هذه الحرب تحجيم الدور الأمريكي-الاوروبي في منطقة القوقاز، إذ أعلن (شيفر) الأمين العام للحلف الأطلسي آنذاك، بأن الحلف لا يملك الصلاحيات للتدخل العسكري في الحرب الجورجية الروسية. أما الموقف الأمريكي فلم يخرج عن هذا الإطار واكتفت التصريحات الامريكية بالإعراب عن القلق ازاء الحرب التي تشنها القوات الروسية ضد جورجيا والمناشادات بوقف الحرب وتسوية الازمة بالطرق السلمية.

لقد استعادت روسيا الاتحادية من خلال الازمة الجورجية الهيبة والنفوذ في بقية دول الاتحاد السوفياتي السابق ولقنت حلف الاطلسي درساً قاسياً، أصبح على أثره عاجز عن الرد ولا يستطيع عمل أي شيء إزاء الرد الروسي الحاسم، كما تحقق لروسيا خلال تلك الازمة البدء بمرحلة التنافس مع الدول الغربية وليس التابع أو المجاري للسياسة الأمريكية، كما تمكنت روسيا من أعادت صياغة التحالفات مع دول الجوار القريب، من خلال عقد اتفاقيات امنية واقتصادية تثبت تصاعد دور روسيا وتحقق مصالحها واستقلالية قراراتها (26).

وتمكنت روسيا من تحقيق أهداف استراتيجية طالما انتظرت طويلاً لتحقيقها، إذ تمكنت من تسويق منظورها الأمني الخاص بمنطقة القوقاز، حيث تم اخطار حلف الناتو بضرورة الكف عن فكرة ضم جورجيا الى عضويته، كما تولدت نوع من القناعة لدى تلك الدول بضرورة الابتعاد عن الولايات المتحدة الأمريكية، لعدم استعدادها الوقوف ضد السياسة الروسية في المنطقة، وأن روسيا الطرف الوحيد القادر على حمايتها ورعاية مصالحها، مما يعني استقطاب هذه الدول الى حظيرتها وبدأ مرحلة المنافسة الحقيقية مع الولايات المتحدة الأمريكية على المدى البعيد في المنطقة (27).

كما تمكنت القوات البحرية الروسية من الانتشار العسكري الواسع في البحر الاسود وأجرت سلسلة مناورات بالذخيرة الحية، فضلاً عن المناورات العسكرية التي أجرتها في البحر المتوسط وبحر البلطيق، بالإضافة الى زيادة التواجد العسكري الروسي في القواعد البحرية والخلجان والمضايق الاستراتيجية، مما حقق لها منافسة حقيقية مع أساطيل حلف الناتو في هذه البحار، الامر الذي أدى الى إعادة التوازن الاستراتيجي بين روسيا وحلف الناتو في هذه الأماكن الاستراتيجية من العالم. بالمقابل أظهرت الحرب الجورجية- الروسية في منطقة القوقاز عجز الناتو لحماية حلفائه من التحدي الروسي، الامر الذي أجبر الحلف على إعادة النظر في سياسته وعقيدته العسكرية اتجاه روسيا بعد أن تولدت قناعة لدى الحلف الأطلسي بأن روسيا لا تتردد في استخدام القوة العسكرية ضده أو أحد أعضائه في حالة المساس بالمصالح الروسية وتعريض الامن القومي الروسي للخطر، فضلاً عن نجاحها في ردع الجوار القريب عن التفكير

25 - سعد شاكور شبلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص90.

26 - خالد سعد زغلول، الأزمة في القوقاز تحد جديد للاتحاد الأوربي. مجلة السياسة الدولية. العدد(174) مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2008، ص 2018 .

27 - خالد سعد زغلول. مصدر سابق، ص221.

بالتقرب أكثر من حلف الناتو على حساب العلاقة والقرب من روسيا، كما تسنى لروسيا الإشراف في الترتيبات الأمنية في مناطق النفوذ المتنازع عليها في آسيا وأوروبا وربما في العالم اجمع على أن تكون روسيا طرفاً فاعلاً في السياسة الدولية (28).

وبعد انضمام شبه جزيرة القرم الى الاتحاد الروسي ما أدى الى استعادة النفوذ الروسي على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري في الدول المطلة على البحر الأسود وشرق أوروبا، في الوقت الذي تراجع فيه نفوذ حلف شمال الأطلسي جراء تلك الازمة. فقد تم حرمانه من الحصول على أي معلومات عن طريق الجو في منطقة البحر الاسود. وكان بعض قادة الحلف قد أشاروا مراراً الى تلك المشكلة وعبروا عن قلقهم الشديد من هذا التهديد الذي أطلقوا عليه تسمية (مكافحة صعوبة الوصول الى منطقة مجهولة) خاصة بعد أن بدأت روسيا بتحديث قواتها في أسطول البحر الاسود في ميناء سيفاستوبول واسطول بحر البلطيق لتوفير مراقبة فعالة على تحركات الناتو في كلا البحرين وفي سماء دول البلطيق أيضاً كل من: استونيا ولتوانيا ولاتفيا بهدف تحويلها إلى قوات قتالية حديثة قادرة على مواجهة أي تهديد أو تحدي من جانب الناتو في هذه المناطق، وقد تم تجنب النفوذ العسكري الروسي المتزايد في هذه المناطق، الامر الذي سيعطي روسيا قدرة التحكم بشكل أكبر بمنطقة البحر الأسود وبحر البلطيق أيضاً، على الرغم من نشر الولايات المتحدة بعض دوريات المراقبة في المنطقة. بهذا الاجراء تكون روسيا قد تمكنت من تأسيس وجود عسكري دائم لها في البحرين الأسود والبلطيق، لاسيما بعد أن أخذت تركيا تتردد كثيراً في الموافقة على توسيع تواجد قوات حلف الناتو في البحر الأسود، لأن ذلك من شأنه أن يضعف السيطرة التركية في المنطقة ويجلب لها المتاعب. وبذلك تكون روسيا قد استطاعت الخروج من الحصار وكسر الطوق المفروض عليها من قبل الناتو. ولا تقتصر الطموحات الروسية على البحر الأسود، بل تتعداه إلى منطقة البحر المتوسط لتعزيز تواجدها العسكري في سوريا (29).

فضلاً عن هذه المعطيات التي تحققت لروسيا جراء استعادتها جزيرة القرم فقد استطاعت روسيا منع أوكرانيا من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي أو إلى حلف الناتو. إن تلك الازمة كشفت عن إصرار روسيا كسر الطوق المفروض من قبل الحلف واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الأمن القومي الروسي، كما أبقت تبعية الدول الأوروبية اقتصادياً لروسيا، ولاسيما في قطاع الطاقة الأمر الذي يشكل بالغ الأثر على عجلة الاقتصاد الأوروبي، كما أظهرت الازمة بوادر التصدع داخل المعسكر الأوروبي التي عبر عنها كل من بريطانيا وألمانيا من خلال إبدائهما عدم الحماسة تجاه مقاطعة روسيا تجارياً، نظراً للتداخل التجاري المنتشعب بين روسيا والدول الأوروبية، كما أجبرت الازمة الأوكرانية حلف الناتو في اتخاذ إجراءات عسكرية من قبيل الإعلان عن استنفار قواته في منطقة البحر الاسود وشرق أوروبا وفوق بحر البلطيق (30).

28 - أحمد دياب، النزاع في القوقاز حسابات خاطئة وتداعيات إقليمية خطيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد 174، مركز الأهرام، القاهرة، 2008، ص210.

29- فورين أفيترز : التواجد الروسي المتنامي في البحر الأسود، بحث منشور على الرابط:

[/https://idraksy.net/russias-growing-stronghold-in-the-black-sea](https://idraksy.net/russias-growing-stronghold-in-the-black-sea)

30 - محمد صفوان جولاق، أوكرانيا وانفصال القرم ، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط:

<https://www.studies.aljazeera.net>

وفي محادثات مينسك الخاصة بتسوية الازمة الأوكرانية فرضت روسيا شروطها على الأطراف المتفاوضة معها (أوكرانيا ودول الاتحاد الأوروبي) من قبيل: ألا تقترب أوكرانيا أكثر إلى الاتحاد الأوروبي. وفي اجتماع ثلاثي جمع كل من ممثلي: الاتحاد الأوروبي - روسي -أوكراني في 12 أيلول/ سبتمبر 2014، تم الاتفاق على تأجيل تطبيق اتفاق منظمة التجارة الحرة الأوروبية مع أوكرانيا من تشرين الثاني/ نوفمبر 2014 إلى نهاية عام 2015، وهددت روسيا بفرض قيود جمركية على أوكرانيا إذا لم يتم تطبيق شروطها ورعاية مصالحها (31). في الوقت نفسه اتسمت السياسة الأمريكية تجاه روسيا بالضعف والارباك واكتفت بفرض عقوبات تدرجية على روسيا وبررت تلك السياسة بأنها الضمانة الوحيدة لعدم تكرار السلوك الروسي مع باقي دول وسط وشرق أوروبا في المستقبل (32).

كما إن إطلاق روسيا التهديدات ضد أوروبا منع الدول التي لها حدود مشتركة مع روسيا سواء كانت في القوقاز أو وسط وشرق أوروبا مثل، جورجيا وأوكرانيا وفنلندا والسويد ومولدافيا، من الانضمام الى عضوية حلف الناتو، الامر الذي سيوفر لروسيا الفضاء والوقت التي تحتاج اليهما من أجل تعبئة الإمكانيات واستكمال إجراءات الرد المناسب في حال نشوب الحرب، للدفاع عن امنها القومي وسلامة الأراضي الروسية. كما إن (سياسة الردع) التي تتبعها روسيا إزاء حلف الأطلسي قد أحبطت محاولاته في احكام الطوق وأجبرته على اشراك روسيا في وضع النظام الأمني لأوروبا ادراكاً منه بأهمية الدور الروسي الجديد في أوروبا (33).

وانعكست مخرجات الاستراتيجية الروسية في البحر المتوسط على الدور الروسي في الشرق الأوسط، وقد ظهر ذلك جلياً في الازمة السورية. فقد وفرت القوات البحرية الروسية في قاعدتي (طرطوس و حميميم) على الشواطئ السورية الدعم الكامل للقوات الروسية، مما غير خارطة توازنات القوى الدولية والإقليمية في الازمة السورية لصالح روسيا على إثر الفراغ الجيوسياسي الناتج عن تراجع النفوذ الأمريكي فيها. إن سوريا اليوم باتت تمثل ساحة تجاذبات ومنطقة إرتطام "جيوبوليتيكية بين القوى الدولية والإقليمية الكبرى وفقاً للإستراتيجية الأميركية (34).

وشكل توسيع وتزويد قاعدتي طرطوس البحرية وحميم الجوية في مدينتي طرطوس واللاذقية بأنواع الأسلحة الروسية المتطورة مصدر قلق لحلف الناتو، حيث فرض تواجداً عسكرياً ضخماً لروسيا الاتحادية في شرق البحر المتوسط. وكانت وزارة الدفاع الروسية قد أعلنت عن نشر منظومة صواريخ أس 300 في قاعدة طرطوس لحماية العسكريين الروس هناك، والتي ستقوم مع منظومة صواريخ أس 400 المنشورة في قاعدة حميميم بريف اللاذقية، فضلاً عن مقاتلات حربية متطورة طراز سوخوي 27 - وسوخوي 30 - القتاليتين المتقدمتين جداً وقاذفات مقاتلة من طراز سوخوي سو (34 - فولباك) الأكثر تطوراً، كما تشير المصادر الاستخباراتية الأميركية إلى مشاركة طائرات الشحن العسكري الروسية التي تقوم

³¹ -Lawrence Freedman، "Ukraine and the Art of Limited War،" Survival، vol. 56, no. 6 (December 2014/January 2015), p. 17

³² - Kenneth T. Walsh، "No Good Options for Obama in Ukraine Crisis"، U.S. News، 03/03/2014.

33- حميد حمد السعدون، روسيا ومتغيرات فضائها الآسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد(89) ، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2005، ص16.

34- جلال خشيب، سوريا في مهبط التحولات الدولية: دراسة جيوبوليتيكية نظرية، الحوار المتمدن، العدد 3815 ، 10 آب 2012.

بعشرات الرحلات إلى مطار اللاذقية محملة بالأسلحة والعتاد والخبراء، والقيام ببناء منظومة دفاع جوية متكاملة هناك. فالولايات المتحدة ترى أنّ حجم البناء العسكري الروسي على الساحل السوري بهذا الحجم له أهداف أبعد من محاربة الفصائل المعارضة للنظام في سوريا. وقد عبر وزير الخارجية الأميركي (جون كيري) عن تلك الفئاعة الأميركية، عندما تساءل عن مدى حاجة الروس إلى نشر هكذا قوات متقدمة. فمن المعلوم أنّ فصائل المعارضة السورية لا تملك طيران حربي يستلزم مثل هذه القدرات وهذا النوع من الأسلحة، وهو ما يثير تساؤلات حقيقية حول ما إذا كان المقصود بذلك أن ترسل روسيا رسالة ضمنية لدول حلف الأطلسي الذي تقوده الولايات المتحدة (35).

إنّ هذا التوسع العسكري الروسي بهذا الحجم وهذه الكيفية حقق لروسيا أمرين أساسيين: إعادة توزيع القوة على الأرض وتأكيد مبدأ السيطرة الجوية. ويندرج ذلك في تحقيق منافسة النفوذ الأميركي-الاوروبي في المنطقة ومواجه التجاهل والاستخفاف في العديد من القضايا الدولية، ويؤكد دور الشريك الفاعل في القرار والنظام الدوليين، ويجبر هذه الأطراف على القبول بنظام دولي متعدّد الأقطاب تمارس فيه روسيا دوراً فاعلاً في توازنات القوى الإقليمية والدولية إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية المؤثرة (36).

كما تم أفشال إحدى أهم حلقات مخطط التطويق الأميركي-الأوروبي على روسيا وما ينطوي على ذلك من أهمية كبرى لصالح الأمن القومي الروسي. أن التواجد العسكري الروسي في البحر المتوسط سيكون له الأثر البالغ في مزاحمة (واشنطن) في المنطقة (37).

إنّ التواجد العسكري الروسي الكبير شرق البحر المتوسط له مبرراته، كما يعتقد القادة الروس. فقد وفر لروسيا دور الشريك الاستراتيجي الذي يستطيع مراقبة المنطقة عبر الواجهة المتوسطية، والإمساك بزمام الأمور الأمنية لمكافحة الإرهاب، إذ يعتبر مكافحة الإرهاب من الأهداف المركزية لدى القيادة الروسية، لأنه يمثل عامل تهديد بارز ومتقدم للأمن القومي الروسي. وهو ما أكدت عليه العقيدة الاستراتيجية الروسية في كل تحدياتها، خصوصاً بعد تعرض روسيا لسلسلة هجمات إرهابية (38).

إنّ روسيا تخشى من المدّ الثوري بسبب طبيعة أوضاعها الداخلية المتمثلة بوجود معارضة منظّمة ضد النظام والحزب الحاكم فيها، لاسيما في المناطق ذات الوجود الإسلامي. فمحاربة الحركات الإسلامية في سوريا تعد بمثابة خط دفاع متقدّم بوجه تمّدّد الحركات الإسلامية التي من الممكن أن تصل إلى الحدود والداخل الروس إذا لم يتمّ لجمها عند الخطّ السوري، وهناك اعتقاد روسي مفاده أنّ "الحرب على الإرهاب" في سوريا أو مناطق القوقاز هي حرب مفروضة على روسيا وسوريا. أنّ الساحة السورية تستقطب الآلاف

³⁵ -Jennifer Rizzo & Nic Robertson, "U.S. concerned about Russian jets in Syria," *CNN*, September 19, 2015, at: <http://www.cnn.com/2015/09/19/politics/john-kerry-russia-jets-syria/>; Michael R. Gordon & Eric.

³⁶ - Luke Coffey, Russia's priority is the survival of Assad's regime, 18 November 2015 retrieved from <http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2015/11/russia-priority-survival-assad-regime-151118053352343.html>

³⁷ -نزار اسماعيل الحياي وعبد الحميد العيد الماوساوي، العلاقات الروسية-الأمريكية من الشراكة الاستراتيجية إلى المنافسة الجيو سياسية (2008-2001)، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهدين، العدد (16)، بغداد، 2009، ص58.

³⁸ - ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2013، ص266.

من المسلمين الروس من اصول شيشانية للانضمام إلى القتال مع الحركات الإسلامية المعارضة لنظام الأسد والتخوف من عودتهم إلى داخل روسيا في الشيشان أو القوقاز أو آسيا الوسطى المجاورة وجلب المعركة إلى قلب روسيا في حال عودتهم إلى بلدانهم، وما يمثله ذلك من مخاطر تهدد الأمن القومي الروسي (39).

لقد وقفت روسيا إلى جانب نظام الأسد، وقدّمت له مختلف أنواع الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري داخلياً وخارجياً، وعلى الرغم من دعوة الحكومة الروسية لنظام الأسد بضرورة القيام بالإصلاحات السياسية والدستورية، بيد أنها اعتبرته الجهة الشرعية الوحيدة في البلاد وقدمت له الدعم والحماية في الأمم المتحدة من خلال تعطيل المساعي الغربية لاستصدار أي قرار من مجلس الأمن يدين النظام أو يسمح بعمل عسكري ضد سوريا، حتى لا تتكرر خدعة الولايات المتحدة الأميركية وبعض دول الحلف الأطلسي كما حصل في الازمة الليبية عندما ضغطت هذه الأطراف وأصدرت قرار من مجلس الأمن يجيز التدخل الإنساني في ليبيا، وقد أسوء استعمال هذا القرار لبلوغ أهداف سياسية واقتصادية (40).

كما تمكنت روسيا من تحويل مسار مفاوضات تسوية الازمة السورية طبقاً لرؤيتها الخاصة، كما حصل في محادثات آستانا، يومي 15 و 16 فبراير/شباط 2017. بعد إخراج قوات المعارضة من حلب وإشراك تركيا وإيران وتهميش دور الولايات المتحدة في جهود التسوية، لاسيما في أيام إدارة أوباما الأخيرة. إنَّ موسكو استطاعت أن تؤسّس لمسار جديد يمكن أن يُمثّل بديلاً لمساعي الأمم المتحدة التي بدأت في جنيف ولم تحقق أي تقدم يُذكر حتى في تقديم رؤية واضحة لسبل تسوية الازمة، بسبب تقاطع المصالح التي أدت إلى تأزم العلاقات الروسية-الأميركية، مما أدى إلى تخلي (موسكو) عن فكرة العمل المشترك مع (واشنطن) والعمل على تشكيل وفد للمعارضة ودعوتهم إلى مفاوضات (آستانا) عاصمة كازاخستان.

لقد تصاعد النفوذ الروسي في الازمة وأخذ دور القوة القادرة على امتلاك مفاتيح الحل في الوقت الذي تراجع فيه الدور الأمريكي وأصبح ثانوياً لا يناسب وطموحات ومصالح الولايات المتحدة الامريكية (41). وكان ذلك واضحاً في دعم الموقف الروسي وتهميش الدور الأمريكي-الأوروبي في الازمة السورية (42).

³⁹ - معن طلاع، السياسة الروسية تجاه سورية منذ أحداث الثورة، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، إسطنبول، 2014، ص 3.

⁴⁰ - محمد الخليفي، "سر الموقف الروسي من الأزمة السورية"، القدس العربي 28 مارس 2013
⁴¹ - نزار عبد القادر، روسيا والازمة السورية: مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، بيروت، العدد 84، 2013، ص 83.

⁴² - فينتسلاف يورين، الموقف الروسي من الثورة السورية لماذا تساند روسيا نظام الاسد؟،

مقال منشور على الموقع: <https://ar.qantara.de/content/>

الخاتمة

- من خلال كل ما تقدم في هذا البحث يمكن اجمال اهم النتائج التي تم التوصل اليها بما يأتي:
- 1- إن اتباع روسيا سياسة التهديد ضد حلف الأطلسي شاركت في تحجيم دور الناتو والحد من محاولاته لإحكام الطوق على روسيا.
 - 2- إن الإجراءات السياسية والعسكرية التي اتخذتها روسيا الاتحادية في البحر الأسود والبحر المتوسط قد أدت الى إعادة التوازنات الاستراتيجية بين روسيا والحلف الأطلسي في هذه البحار.
 - 3- مثلت أزمة جورجيا عام 2008، فرصة كبيرة لروسيا الاتحادية لإظهار قدرتها على التعاطي مع التحدي الأطلسي، وكان الرد الروسي يناسب ذلك التحدي، الامر الذي أحدث تحولاً في التوازن الاستراتيجي لصالح روسيا وخلق تحدياً كبيراً مست جوهر مهام الحلف الأطلسي.
 - 4- إن أزمة جورجيا كانت منطقتاً لمرحلة جديدة من العلاقات بين روسيا والحلف الأطلسي وصفت بأنها علاقات تنافس اتضحت معالمها أكثر في ضم روسيا لشبه جزيرة القرم عام 2014.
 - 5- ان الاجراء الذي قامت به روسيا في شرق البحر المتوسط من تجهيز ودعم لقاعدتي طرطوس و حميميم ينم عن دراسة وتحليل لمتطلبات استعادة المكانة والدور اللتان تطمح اليهما روسيا في النظام الدولي.
 - 6- إن الإجراءات المشار اليها قد لبت المتطلبات الضرورية لاستعادة روسيا الاتحادية المكانة والدور المرموقين في النظام الدولي. وان التحرك الروسي يأتي في إطار حماية مصالحها، لتحقيق توازن استراتيجي مجدداً بين الشرق والغرب، وهذا التوازن سيؤدي الى منع حدوث حرب واسعة النطاق في المنطقة أو في العالم.

المصادر

المصادر العربية.

- 1- إبراهيم المنشاوي، مستقبل العلاقات الأوروبية الروسية في ضوء أزمة القرم 2014 ، على الموقع: www.acrseg.org
- 2- أحمد دياب، النزاع في القوقاز حسابات خاطئة وتداعيات إقليمية خطيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد 174، مركز الأهرام، القاهرة، 2008.
- 3- أحمد كرمأوي، روسيا تلوح بالعودة إلى إستراتيجية الردع النووي، مجلة المجتمع، العدد 1574، بتاريخ 2003/10/25، على الرابط: <http://www.almujtamaamag.com/Detail>.
- 4- باسل راشد، تهديد جيواستراتيجي: حسابات القطب الروسي في الأزمة الأوكرانية، مجلة السياسة الدولية، العدد 196، مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، القاهرة، 2014، ص 122.
- 5- جلال خشيب، سوريا في مهبّ التحوّلات الدولية: دراسة جيوبوليتيكية نظرية، الحوار المتمدّن، العدد 3815، 10 آب 2012 .
- 6- جينيفر ميدكالف، حلف الناتو، ترجمة: قسم الترجمة بدار الفاروق، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2009.

- 7- حمزة جمول، أوكرانيا ورقعة الشطرنج الدولية، صحيفة الاخبار، 27 شباط 2014، متوفر على الرابط: <https://www.al-akhbar.com>
- 8- حميد حمد السعدون، روسيا ومتغيرات فضائها الآسيوي، سلسلة دراسات استراتيجية، العدد (89) ، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، 2005 .
- 9- خالد سعد زغول، الأزمة في القوقاز تحد جديد للاتحاد الأوربي، مجلة السياسة الدولية، العدد (174) مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، 2008.
- 10- ديارى صالح مجيد، التنافس الدولي على مسارات أنابيب نقل النفط من بحر قزوين :دراسة في الجغرافية السياسية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2010.
- 11- قناة سكاي نيوز، روسيا تبدأ مناورات واسعة النطاق في المتوسط، 01 / 09 / 2018، على الموقع: <https://www.skynewsarabia.com/world/>
- 12- روسيا تطلق مناورات تمتد من البحر المتوسط إلى بحر البلطيق على الرابط: <https://arabic.sputniknews.com/russia/2019>
- 13- سعد شاکر شبلي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2013.
- 14- عبد الرؤوف رهبان، المدرسة الأمريكية – نظرية سيادة القوة البحرية الأعظم (نظرية ماهان) الموسوعة الجغرافية، على الموقع: <http://www.4geography.com/vb/showth>
- 15- عمرو عبد العاطي، أوكرانيا وجورجيا :أزمات في منطقة الجوار، مجلة السياسة الدولية، العدد (178) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2009 .
- 16- فورين أفيرز، التواجد الروسي المتنامي في البحر الأسود، بحث منشور على الرابط: <https://idraksy.net/russias-growing-stronghold-in-the-black-sea>
- 17- فيتشسلاف يورين، الموقف الروسي من الثورة السورية لماذا تساند روسيا نظام الاسد؟، مقال منشور على الموقع: <https://ar.qantara.de/content/>
- 18- قيس العبيدي، الصراع الروسي الجورجي في اوسيتيا الجنوبية، مجلة الحوار المتمدن، العدد 460 ، 2008.
- 19- كريم مصلوح، التعاون والتنافس في المتوسط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2013.
- 20- محسن طاهر مديهيش، توسيع حلف الناتو بعد الحرب الباردة : دراسة في المدركات والخيارات الإستراتيجية الروسية، دار جنان للنشر والتوزيع، 2013 .
- 21- محمد الخليفي، سر الموقف الروسي من الأزمة السورية، القدس العربي 28 :مارس 2013 .
- 22- محمد باسم، روسيا وأمريكا في صراع المتوسط، الانجلو المصرية، القاهرة، 2013.
- 23- محمد صفوان جولاق، أوكرانيا وانفصال القرم ، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط: <https://www.studies.aljazeera.net>
- 24- معن طلاع، السياسة الروسية تجاه سورية منذ أحداث الثورة، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، إسطنبول، 2014.
- 25- مريم موسي رياض يعقوب، تأثير الصعود الروسي على العلاقات الروسية-الأمريكية خلال فترة بوتين وأوباما، المركز الديمقراطي العربي على الموقع: <http://democraticac.de/?p=35126>

- 26-المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية، التوازن العسكري 2004-2005 ، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، أبو ظبي، 2005.
- 27-ممثل روسيا لدى الناتو، روسيا تعارض بشدة توسع الأطلسي شرقاً، موقع أخبار أوروبا، على الموقع: www.arabic.euronews.com
- 28-ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2013 .
- 29-نزار اسماعيل الحياي وعبد الحميد العيد الماوساوي، العلاقات الروسية-الأمريكية من الشراكة الاستراتيجية إلى المنافسة الجيو سياسية (2001-2008)، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، العدد (16)، بغداد، 2009.
- 30-نزار عبد القادر، روسيا والازمة السورية :مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، بيروت، العدد 84، 2013.
- 31-نوار محمد ربيع الخيري، روسيا الإتحادية والسعي لاثبات المكانة والدور إقليمياً ودولياً، مجلة قضايا سياسية، المجلد الرابع، العددان (21-22)، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، 2010.
- 32-نورس محمد علي، مرفأ طرطوس عقدة دولية للنقل بين الشرق والغرب، بحث منشور على الرابط: <http://www.esyria.sy/etartus/index>.
- 33-وثائق محمد براك، الأبعاد الإستراتيجية للحرب الروسية-الجورجية، أغسطس/2008، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد 34، 2014.
- 34-وثائق محمد براك، التوجهات الانفصالية المعاصرة في القوقاز: (اوسيتيا الجنوبية، ابخازيا، ناغورنو قره باخ)، مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، العدد 59، 2011.
- 35-وسيم خليل قلعبجية، روسيا الاوراسية – زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015.

1- المصادر الأجنبية.

- 1- Daniel Treisman ,Why Russia supports Syria's Assad,Ucla Today, faculty and Staff News, 2011, <http://today.ucla.edu/portal/ut/PRN-russia-s-support-for-assad-regime-228392.aspx>
- 2- Macel de Haas, Russia's Foreign Security Policy in the 21st Century: Putin and beyond, Routeledge Contemporary Studies, 2010, p.15.
- 3- Kenneth T. Walsh, "No Good Options for Obama in Ukraine Crisis", U.S. News, 03/03/2014.
- 4- Lawrence Freedman, "Ukraine and the Art of Limited War," Survival, vol. 56, No. 6, January 2015.
- 5- Jennifer Rizzo & Nic Robertson, "U.S. concerned about Russian jets in Syria," CNN, September 19, 2015, available at: <http://www.cnn.com/2015/09/19/politics/john-kerry-russia-jets-syria/>; Michael R. Gordon & Eric

- 6- Luke Coffey, Russia's priority is the survival of Assad's regime, 18 November 2015 retrieved from <http://www.aljazeera.com/indepth/opinion/2015/11/russia-priority-survival-assad-regime-151118053352343.html>